



مناقب الرسول («من أجل أضع البطحاء وأرفع السماء»)

إليه يعود
المحرم
الكل

تصدير الموضوع

عن الإمام علي عليه السلام: «فَتَأْسَى مُتَأْسٍ بِنَبِيِّهِ
وَاقْتَصَّ أَشْرَهُ وَوَلَّجَ مَوْلَجَهُ وَلَا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ
فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا عَلَمًا لِلسَّاعَةِ وَمُبْشَرًا
بِالْجَنَّةِ وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ. خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَمِيصًا
وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا ثُمَّ يَضَعُ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى
مَضَى سَبِيلَهُ وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ فَمَا أَعْظَمَ مَنَّةَ اللَّهِ
عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا تَتَّبِعُهُ وَقَانِدًا نَطَأُ
عَقَبَهُ».

نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

محاور الموضوع

- ١- في مناقبية الأنبياء عليه السلام وبالخصوص نبينا محمد عليه السلام
- ٢- ذكر بعض مناقب الرسول الخاتم عليه السلام وهو مديون
- ب- عبد شكور
- ج- لا يحب الجاه
- د- انتفاع المسلمين برسول الله عليه السلام حياً وميتاً
- هـ- المقام المحمود

الهدف

اظهار بعض مناقب الرسول عليه السلام والحث عليها

تمهيد

ان الله تعالى خلق الناس ولم يتركهم بلا هداية، فزودهم بالعقل- الرسول الداخلي- ليساعدهم في الهداية فهو بنفسه لا يكفي، فأرسل إليهم الأنبياء والرسول - الرسول الخارجي - ليرشد العقل ويدهمه في هداية الناس الى الله تعالى، ولخطورة مقام النبوة وعظمته وحيث قد يدعي النبوة من ليس بنبي جعل الله تعالى للأنبياء الصادقين أدلة وآيات وعلامات تثبت صدقهم. ومن أدلة نبوة أي نبي معجزاته ومناقبه ومكارم أخلاقه وعطاءاته لقومه وللإنسانية.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «... وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة....»^(١).

ونبينا الأعظم عليه السلام بما أنه خاتم الأنبياء عليهم السلام كان له من ذلك الكثير الكثير، «ولقد قرن الله

به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»^(٢).

ذكر بعض مناقب الرسول الخاتم عليه السلام

مات رسول الله عليه السلام وهو مديون

عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «مات رسول الله عليه السلام وعليه دين»^(٣). وعنه عليه السلام: «وإن درعه - عند وفاته - مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعاً من شعير استلفها نفقة لأهله»^(٤).

وقد خير رسول الله عليه السلام بين البقاء في الدنيا وبين لقاء الله تعالى فاختار الثاني. وقد أغراه مشركو قريش بالدنيا والملك والسلطان، فقال كلمته التي تصلح أن تبقى في فكر ومواقف اصحاب المبادئ: «والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفضه أو أقتل دونه»^(٥).

«فَتَأْسَى بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَأَ لِمَنْ تَأْسَى وَعَزَاءَ لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأْسِي بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصِ لِأَنْفَرِهِ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضَمًا وَلَمْ يَعْزَمْ طَرْفًا أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا وَأَخْمَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا عَرَضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ

يَقْبِلَهَا وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَنْبَغُ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ.....»^(٦).

عبد شكور

لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام فِي قِمَةٍ الْمَعْرِفَةِ كَانَتْ عِبَادَتُهُ فِي قِمَةِ الْعِبَادَةِ، فَلَمْ يَسَأَمْ وَلَمْ يَمَلْ وَلَمْ يَضْجُرْ، بَلْ كَانَتْ رَاحَتُهُ فِي الصَّلَاةِ وَلِذَا كَانَ عليه السلام يَقُولُ لِبَلَالٍ: ارْحِنَا يَا بَلَالُ، عِنْدَ حُلُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، وَكَانَ يَقُولُ عليه السلام: «...وَجَعَلْتُ قِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٧). وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام عِنْدَ إِحْدَى زَوْجَاتِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ تَتَّبِعْ نَفْسَكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «أَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(٨).

أما في واقعنا اليوم فنرى نماذج بعيدة كل البعد عن مقتدانا رسول الله عليه السلام، حتى شابه بعض الناس المنافقين الذين وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم: «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلُ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ»^(٩).

لا يحب الجاه

كان رسول الله عليه السلام لا يحب الترفع والمظاهر والوجاهة، كان ديدنه البساطة في العيش.

عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: «كان

(٦) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

(٧) بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢١١.

(٨) الكافي ج ٢ ص ٩٥.

(٩) (التوبة: ٥٤)

(٢) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده ج ٢ ص ١٥٧.

(٣) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٧٥.

(٤) البحار، ج ١٦، ص ٢١٩، ح ٨.

(٥) بحار الأنوار ج ٩ ص ١٤٢.

(١) الكافي ج ١ ص ١٦٨.



رسول الله ﷺ إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس حين يقعد^(١). وعنه ﷺ أيضاً قال: «ما أكل رسول الله ﷺ متكناً منذ أن بعثه الله عز وجل حتى قبض، وكان يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد»، قلت: ولم ذاك؟ قال: «تواضعاً لله عز وجل»^(٢). وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويوجب دعوة المملوك على خبز الشعير^(٣). ومن تواضعه أنه كان يبدأ بالسلام على الناس، وينصرف إلى محدثه بكله: الصغير والكبير والمرأة والرجل، وكان آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا أقبل جلس حيث ينتهي به المجلس، لم يكن يأنف من عمل يعمله لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار أو مسكين، وكان يذهب إلى السوق، ويحمل بضاعته بنفسه، ولم يستكبر عن المساهمة في أي عمل يقوم به أصحابه وجنده، فقد ساهم في بناء المسجد في المدينة وعمل في حفر الخندق في غزوة الأحزاب، وشارك أصحابه في جمع الحطب في أحد سفراته، وعندما قال له أصحابه نحن نقوم بذلك عنك قال ﷺ: «قد علمت أنكم تكفوني ولكن أكره أن أتميز عنكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً عن أصحابه»^(٤). وروى أن رجلاً كلم النبي ﷺ فأرعد، فقال: «هون عليك فإنني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد»^(٥). أما في واقعنا اليوم فنرى نماذج بعيدة كل البعد عن مقتدانا رسول الله ﷺ، فالبعض يتكبر على الفقراء ولا يعيش معهم ولا ينزل إلى أكواخهم خوفاً على وجاهته أن تسقط، ويتذلل لأصحاب الواجهة والمنصب رغبة في ارتفاع منصبه.

انتفاع المسلمين برسول الله ﷺ حياً وميتاً

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٦).

وعن الإمام أبي جعفر ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ وهو في نفر من أصحابه، إن مقامي بين أظهركم خير لكم، وإن مفارقتي إياكم خير لكم فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري» وقال: يا رسول الله أما مقامك بين أظهرنا فهو خير لنا فكيف يكون مفارقتك إيانا خيراً لنا؟ قال ﷺ: «أما مقامي بين أظهركم فهو خير لكم لأن الله عز وجل يقول: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون»... فأما مفارقتي إياكم فهو خير لكم، لأن أعمالكم تعرض علي كل اثنين وخميس، فما كان من حسن حمدت الله تعالى عليه، وما كان من سيئ استغفرت لكم»^(٧). أما أمة الاسلام فقد استنثيت من هذه السنة بأن رفع العذاب عنها في الدنيا ببركة وجود رسول الله ﷺ تعظيماً لشأنه واکراماً لهذه النفس القدسية وقد دل على ذلك القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾.

وعن الإمام عليّ ﷺ: «إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء متشعبة، وطرائق متشعبة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره؛ فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجحالة».

وقد اعترف بهذا الكثير من مناصفي العالم الغربي والشرقي، يقول «جان ديون پورث العالم الإنجليزي المشهور»: «لقد حول محمد العربي البسيط، القبائل المتفرقة والجماعة، الفقيرة في بلده إلى مجتمع متماسك منظم، امتازت، فيما بعد - بين جميع شعوب الأرض بصفات وأخلاق عظيمة وجديدة، واستطاع في أقل من ثلاثين عاماً وبهذا الطريق أن يتغلب على الإمبراطورية الرومانية، ويقضي على ملوك إيران، ويستولي على سوريا

وبلاد ما بين النهرين، وتمتد فتوحاته إلى المحيط الأطلسي وشواطئ بحر الخزر وحتى نهر سيحان (في جنوب شرقي آسيا الوسطى)»^(٨).

ويقول توماس كارليل: «لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور وأحى به منها أمة خاملة لا يسمع لها صوت ولا يحس فيها حركة حتى صار الخمول شهرة، والغموض نباهة، والضعفة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقاً، وشمل نوره الأنحاء، وعم ضوؤه الأرجاء وما هو إلا قرن بعد إعلان هذا الدين حتى أصبح له قدم في الهند، وأخرى في الأندلس، وعم نوره ونبله وهداه نصف المعمورة»^(٩).

٥ - المقام المحمود

إن العبادة الخاشعة تقرب من الله تعالى وكلما اقترب الإنسان من الله تعالى كلما ارتفعت درجته عند الله وازداد حب الله تعالى له، وأعطاه الله مقاماً في الدنيا والاخرة. عن رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: ما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبت، وإن سألني أعطيت»^(١٠).

خاتمة

لقد أعطى الله تعالى الرسول الاعظم الخاتم ﷺ مقاماً محموداً ولكن هذا المقام المحمود استحقه رسول الله ﷺ بعد جهاد ومجاهدة وصبر ومصابرة وعناء وعبادة وقيام في الليل وتهجد ودعاء وبكاء وخشوع وزهد في الدنيا ورغبة بما عند الله، فانتفع منه المسلمون بل جميع الناس حياً وميتاً. يا رسول الله يا وجهها عند الله اشفع لنا عند الله.



(٨) من كتاب عذر تقصير به يشكاه محمد وقرآن (بالفارسية) ص ٧٧.
(٩) الإسلام والعلم الحديث ص ٢٢، والمخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام للصوف ص ٣٨.
(١٠) الكافي ج ٢ ص ٣٥٢.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦٦٢.
(٢) م، ن، ج، ٦، ص ٢٧٠.
(٣) وسائل الشريعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ١٠٩.
(٤) امتناع الاسماع، المقرئ، ج ٢، ص ١٨٨.
(٥) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٦، ص ٨٨.
(٦) (الأنفال: ٢٢).